

وقفة مع بطلة كربلاء

زيارة لمسجد السيدة زينب بمصر وسورية

القاهرة ودمشق -
مشيرة الفيشاوي

اعتاد المسلمون تشييد المساجد والأضرحة والمزارات خصوصاً لآل بيت رسول الله (ص)، تخليداً لهم وتبركاً بهم. ومن المتعارف عليه أنه لكل نبي أو صحابي مسجد واحد يضم ضريحاً واحداً.

هذا الخلاف ينم عن حب جارف لها وتسابق على التشريف والتبرك بها من قبل المسلمين جميعاً. ولم لا، فهي عقيلة بني هاشم، وبطلة كربلاء، السيدة "أم هانم" والتي خلع عليها المصريون لقبى "أم العواجر" و"رئيسة الديوان". إنها السيدة زينب بنت علي بن

أما الاستثناء الذي يتسم بالندرة فهو تشييد مسجدين وضريحين لشخصية واحدة وفي بلدين منفصلين، كمصر وسورية، يظاهر أهل كل منهما أسانيد وحجج تدعم روايتهما لتأكيد أن المسجد الطاهر مسجى في هذا البلد دون الآخر. وأياً كانت الحقيقة التاريخية، فإن



The mosque of Sayeeda Zainab/Cairo

مسجد السيدة زينب/القاهرة



The minaret and dome of the mosque of Sayeeda Zainab/Cairo

منارة وقبة مسجد السيدة زينب (رض)/القاهرة ◀ زينب مع الأسرى والسبايا إلى الشام، ثم عادت

أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء (عليهم السلام جميعاً). وحفيدة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم).

الولادة والنشأة

ولدت السيدة زينب في السنة السادسة للهجرة في بيت النبوة بالمدينة المنورة، فاختار النبي (ص) لها اسمها إحياء لذكرى ابنته زينب التي قتلها أحد المشركين. وقد عرفت باسم "زينب الكبرى" تمييزاً لها عن "زينب الوسطى" أختها المولودة في السنة التاسعة للهجرة (والتي كُتبت باسم خالتها أم كلثوم) وأختها "زينب الصغرى" والمقام مشهدها بقرية الراوية بدمشق. حسبما ذكر ابن الخوراني في كتابه "أماكن الزيارات"، والموصلي في كتابه "المعارف".

نشأت سيدتنا زينب الكبرى في كنف بيت النبوة، حُوّطها رعاية جدها العظيم، وعطف من أئمة الكرام، ولم تكد تبلغ الخامسة من عمرها حتى لبي جدها نداء ربه وبعدها بستة أشهر ماتت أمها. وقد أوصتها على أخويها الحسن والحسين وأختها أم كلثوم، فباتت ترعاهم.

وللسيدة زينب العديد من حسن الصفات والمناقب التي اتسمت بها، فقد كانت تشبه أمها في اللطف وطيبة المعشر، وتشبه أبها في علمه وتقاه، وكان لها مجلس علمي حافل تقصده النساء للتعرف في الدين.

ولما شارفت زينب سن الزواج اختار لها أبوها ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب زوجاً لها فأجبت منه ثلاثة بنين هم جعفر وعلي وعون الأكبر وبنين هما أم كلثوم وأم عبد الله وإليهم ينسب الأشراف الزينابية وبعض الأشراف الجعافرة.

مسيرة حياتها وجهادها

عاصرت السيدة زينب أحداثاً مهمة في حياة أبيها وأخيها الحسن، ووقفت بجانب أخيها الحسين في واقعة الطف، فرحلت معه للعراق وكانت تثير حمية الأبطال وتخدم المقاتلين، حتى استشهد الحسين في كربلاء سنة 61 هـ على مقربة من نهر الفرات. وسيقت السيدة زينب مع الأسرى والسبايا إلى الشام، ثم عادت

كما لقبت السيدة زينب بـ"أم هاشم" لكونها سليلة البيت الهاشمي الكريم. ولقبت بـ"بطلة كربلاء" للدور الذي لعبته في معركة كربلاء مع أخيها الحسين ورفاقه. ❦



The mausoleum of Sayeeda Zainab/Cairo

ضريح السيدة زينب/القاهرة

ومن تبقى من آل البيت. ومعهم ابن أخيها علي بن الحسين. إلى المدينة. وكان وجودها بالمدينة كافياً أن يلهب مشاعر الحزن على الحسين والشهداء. وأرادت أم هاشم أن تقضي بقية عمرها بجوار جدها محمد (ص) ولكن بني أمية أبوا عليها ذلك. وأمر يزيد بن معاوية بتفريفة البقية الباقية من آل البيت في الأقطار المختلفة فطلب والي المدينة من السيدة زينب أن تخرج وتقيم حيث تشاء. فاختارت مصرًا ووصلتها في شعبان سنة 61هـ واستقبلها مسلمة بن مخلد الأنصاري والي مصر. وخرجت في استقبالها جموع المسلمين على مشارف مصر. وحتى وصلت الفسطاط (عاصمة مصر آنذاك) والتي تقع حالياً بمنطقة مصر القديمة). مضى بها مسلمة إلى داره فأقامت فيها وكانت تُعقد مجالس الشورى في دارها وأصبح والي ورجاله يحضرون هذه المجالس. وظلت أقل من عام في دارها بمصر دون أن ترجه قط. حتى قضت نحبها. بعد أن أمضت أحد عشر شهراً وحوالي 10 أيام. وتوفيت مساء يوم الأحد الموافق الرابع عشر من رجب سنة 62 هـ المصادف 27 مارس/ آذار سنة 682 م. بموضع يقال له "الحمراء القصوى" حيث بساتين الزهري. وحمراء القصوى هي المنطقة الواقع بها الضريح الزينبي الآن والذي أصبح مسجداً كبيراً في هذه المنطقة و المسماة حالياً بـ"حي السيدة زينب".

ألقاب السيدة زينب

عكست مسيرة حياة السيدة زينب الكثير من الصفات والمناقب التي اشتهرت بها مما دعا المؤمنون أن يخلعوا عليها العديد من الألقاب. فلقبت بـ"عقيلة بني هاشم" نسبة لعلمها وتفقهها في الدين وحرصها على نقل علومها للمؤمنات اللواتي كن يحضرن مجلسها العلمي. كما لقبت السيدة زينب بـ"أم هاشم" لكونها سليلة البيت الهاشمي الكريم. ولقبت بـ"بطلة كربلاء" للدور الذي لعبته في معركة كربلاء مع أخيها الحسين ورفاقه.

وعلى الرغم من قصر فترة إقامتها في مصر إلا أنها تركت أثراً عميقاً في عقول وقلوب ❦

1170 هـ/ 1768 م. بتجديد مقصورته الشريفة ووضع على بابها لوحة نحاسية كتب عليها "يا سيدة زينب يا بنت فاطمة الزهراء.. مددك". ومازالت هذه اللوحة موجودة على الضريح حتى الآن. ومنذ اكتشاف واجهة المسجد في القرن التاسع عشر أصبح يطلق على الميدان "ميدان السيدة زينب". ويتكون المسجد من سبعة أروقة موازية للقبلة يتوسطها صحن مربع مغطى بقبة، وأمام القبة ضريح السيدة زينب. وفي مقدمة المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان يوجد بهما مدخلان رئيسيان يفصل بينهما

السباع" والتي كانت مقامة على الخليج الذي يخرج منه النيل عند منطقة فم الخليج بالعاصمة المصرية. ويعتبر هذا الضريح أول ضريح لآل البيت في مصر. وفي عام 1315 هـ/ 1898 م. تم ردم الجزء الأوسط في الخليج فاخفت القناطر ونتج عن هذا الردم توسيع الميدان الذي يطل عليه الضريح. وبسبب هذا التوسيع اكتشفت واجهة جامع السيدة زينب. وكان الوالي العثماني علي باشا الوزير قد اهتم بعمارته سنة 951 هـ/ 1547 م. فشيّد مسجداً يتصل به. ثم قام الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة

المصرين. حيث كانت دارها مأوى لكل ضعيف ومريض ومحتاج. فلقبوها بـ"أم العواجز". كما كانت تعقد مجالس الشورى في دارها أيضاً وكان يحضرها والي مصر ورجاله. مما حدا بهم أن يخلعوا عليها لقب "رئيسة الديوان". وأتصور أنه لو أمتد بها العمر بمصر لتضاعفت ألقاب هذه السيدة التي تميزت شخصيتها بالعلم والتفقه في الدين.

مسجد السيدة زينب بالقاهرة

يقع مسجد السيدة زينب بوسط مدينة القاهرة في منطقة تعرف باسم "فنطرة



Prayers inside the mosque of Sayeeda Zainab/Cairo

تضرّع إلى الله في مسجد السيدة زينب/القاهرة

«رجاء في كتاب» الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» ما يشير إلى أن للسيدة زينب مقامين أحدهما بدمشق وهو مقصود من كل الجهات خصوصاً الشيعة والثاني بمصر. «



The mausoleum of Sayeeda Zainab/Damascus

ضريح السيدة زينب/دمشق



The pulpit and mihrab/Cairo

المنبر والمحراب/القاهرة

مستطيل تعلوه إضاءة وتهوية علوية يطلق عليها لفظ "شخشيخة" وهو تعبير معماري قديم. وفي الطرف الشمالي الغربي يوجد ضريح سيدي العتريس، وهو من أهل العلم والولاية والذي قام على خدمة مسجد السيدة زينب.

هذا وقد أصبح الضريح الزينبي الآن مقصد الزائرين. وقد اعتنت الحكومة المصرية في عصورها المتعاقبة اعتناءً كبيراً به وجمدته ووسعته وزخرفته.

أسانيد وروايات

أثبت بعض المحققين مجيء السيدة زينب إلى مصر. وبالإسناد المرفوع إلى رقية بنت عقبة بن نافع الفهري قالت: كنت فيمن استقبل زينب بنت علي عندما قدمت مصر بعد المصيبة، فتقدم إليها مسلمة بن مخلد وعبد الله بن الحارث وأبو عميرة المزني. فعزاها مسلمة وبكى فبكت وبكى الحاضرون. وقالت: "هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون" (يس/52).

وفي كتاب "مشارق الأنوار وطبقات الشعرائي" ما يشير إلى مجيئها إلى مصر. ومن هؤلاء الذين أكدوا دخولها مصر الحافظ بن عساكر الدمشقي مؤرخ القرن السادس للهجرة حيث ذكر ذلك في تاريخه الكبير المحفوظ بالكتابة الخالدية بدمشق. وكذلك المؤرخ ابن طولون الدمشقي في رسالة مستقلة. ومن المعاصرين الدكتور أحمد الشرباصي في أحد كتبه.

كما أن هناك رسالة في حلب لـ"العبدلي" (الحسن بن يحيى) وهو من سلالة علي بن أبي طالب والمولود سنة 194 هـ بالعقيق بأرض الحجاز وأسمها "أخبار الزينبيات" ذكر فيها كل من سميت زينب من آل البيت، حيث ذكر فيها أن زينب الكبرى بنت علي تركت المدينة وذهبت إلى مصر. وأعطى نفس التاريخ المذكور في هذه المقالة ومدة الإقامة.

وجاء في كتاب "الدر المنثور في طبقات ربات الخدور" ما يشير إلى أن للسيدة زينب مقامين أحدهما بدمشق وهو مقصود من كل الجهات خصوصاً الشيعة والثاني بمصر.

وقد حدا بي هذا الاختلاف في الآراء حول موضع دفنها أن أقوم برحلة إلى دمشق كي

والأفواس الحاملة للقبة، والقبة والمئذنتين. من ناحية أخرى فقد استخدمت المرايا في كسوة الأقسام العلوية من جدران المسجد وكسيت الأقسام العلوية من جدرانها الداخلية بتشكيل جميل من المرايا الدقيقة المصنعة في بلجيكا لهذه الغاية ويتداخل معها تزيينات الخزف الفاشاني الجميل وتغطي سطوح الدعائم حاملة القبة والأفواس مما أسهم في تحقيق جمال زخرفي متميز. وقد كسيت السطوح الخارجية لقبة المسجد بالذهب مما جعل هذا المسجد يتلأأ في الليل والنهار، ويضفي على المنطقة المقام بها جمالاً وروعة.

تبرعات نفيسة للمسجد

تم إهداء ثلاثة أبواب مذهبة للمسجد. آية في الإبداع الفني فعليها نقوش مصنوعة في مدينة أصفهان، فيها صفائح من الفضة المطلية بالذهب والمزينة بالنقوش الفاخرة المطعمة، وبها آيات قرآنية وأحاديث شريفة بخطوط متقنة وهي محط إعجاب الجميع. كما أهدى الشعب الإيراني عام 1955 ضريحاً لمقام السيدة زينب من خشب الأبنوس المطعم بالعاج والمكسو بنقوش آية في الإبداع وهي من صناعة فنان كبير هو محمد صنع خاتم وقد تم تركيبه على المقام.

من ناحية أخرى فقد تبرع أحد المحسنين ويدعى الحاج محمد علي عام 1955 بقفص مصنوع في باكستان من خشب الأبنوس المكسو بصفائح من الفضة على قاعدة من الرخام وهو يعد تحفة فنية رائعة. وبعد إهتراء عناصر القفص الفضي الأول تبرع المحسن الحاج عباس حسن فروش بقفص جديد صنع في أصفهان من قبل الفنان بارونش وزين بأبداع النقوش وكتبت عليه خطبة السيدة زينب بأجمل الخطوط. تعلوه قبة مذهبة تتوسطها أسماء الله الحسنى.

وعدت في ختام الزيارتين إلى ملاحظاتي التي كنت أدونها لحظة بلحظه، فاكشفت أنني قد شعرت بارتياح نفسي كبير في كلنا الزيارتين. وبنفس القدر، وسعدت كثيراً بأنني لم أجرف وراء فكرة التعصب التي ترجح أن جسد السيدة زينب مسجى بمصر أم بسورية لسبب بسيط هو أن بالأولى (مصر) العلا. وبالتالي (سورية) الجد والحسب. ■



الكاتبة في رحاب مسجد السيدة زينب/دمشق
The writer in the courtyard the mosque of
Sayeeda Zainab/Damascus

” تم إهداء ثلاثة أبواب مذهبة
للمسجد، آية في الإبداع الفني
فعليها نقوش مصنوعة في
مدينة أصفهان، فيها صفائح
من الفضة المطلية بالذهب
والمزينة بالنقوش الفاخرة
المطعمة، وبها آيات قرآنية
وأحاديث شريفة بخطوط متقنة
وهي محط إعجاب الجميع.“

بجمال العمارة في قصور دمشق القديمة. ويتميز سقف المسجد بتدرجه ويبلغ ارتفاعه 6-8 أمتار. أما السقف المتدرج فيفصل كل درجة عن مثيلتها سطح زجاجي عمودي من شأنه توفير الإضاءة الطبيعية للمسجد إضافة إلى أنها توفر التهوية الضرورية للمسجد من جميع الجهات.

من ناحية أخرى استخدم الخزف الإسلامي الإيراني الجميل بألوانه وعناصره الزخرفية النباتية المتقاطعة والمتتالية وكتاباته الإسلامية القرآنية والأدبية، وذلك في سبيل تزيين واجهات رواق الصحن ورواق المسجد والأعمدة والدعائم

أبحث هذا الأمر الخلافى عن قرب، وأعرض وجهات النظر الأخرى والروايات المتواترة في هذا الشأن، على الرغم من تواتر الروايات والمراجع الإسلامية التي ذكرت أن السيدة زينب بنت علي (رض) قد رفضت التوجه إلى الشام وفيها يزيد الذي وترها في أحب الناس إليها. ألا وهو أخيها الإمام الحسين رضي الله عنه.

مسجد السيدة زينب بدمشق

توجهت فور وصولي إلى العاصمة السورية إلى مسجد السيدة زينب والذي يقع بقربة الراوية أو كما يطلق عليها قرية الست بغوطة دمشق في الجهة الشرقية والجنوبية على بعد 7 كيلو مترات، وحين اقتربت السيارة التي أقلتني إلى هناك، شاهدت عن بعد منارتين عاليتين بينهما قبة ذهبية ارتفعت في شموخ، ووجدت صروحاً متناثرة حول المسجد، فهناك مكاتب دينية ومحلات بيع شرائط دينية وأسواق وباعة جائلون يجلسون حول هذا المكان تاركاً بهذه السيدة الطاهرة، واستمعت لحكايات وروايات كثيرة من أصحاب المحلات حول كرامات هذه السيدة والتي أصبحت مقصداً لكل عاجز ومريض ومن له حاجة.

وحين دلفت إلى داخل المسجد استرعى انتباهي روعة الاهتمام بالمقام وزخارفه وقبلته من الداخل ثم من الخارج. وعلمت أن هذا المسجد قد جدد بناؤه سنة 768 هـ/1366 م، وكذلك في السنوات 1302 هـ/1884 م، و1370 هـ/1951 م، إضافة إلى العديد من التجديدات في أقسامه المختلفة.

حديث وتطوير المسجد

يرجع حديث بناء مسجد ومقام السيدة زينب في دمشق إلى العام 1952م، وقد رصفت أرضيته مع أرضية رواقه بالرخام الإيطالي الجميل والنفيس. ولقمام السيدة زينب في دمشق أربعة مداخل للزائرين، يبلغ عرض كل منها أربعة أمتار، وعلى جانبي كل منها رواق جميل عرضه أربعة أمتار أيضاً، رصفت بالحجر المجلي من نوع العيدروسي والكلسي المتميز بألوانه البيج والرمادي الغامق الجميل. وتبدو خلف الرواق سبعون غرفة واجهاتها من الحجر البارزتي، تذكرنا ببيوت دمشق القديمة، ويعلو كلاً من أبوابها ونوافذها قوس نصف مستدير يذكرنا